الولاية

عند عبد الكريم الجيلى

٧٦٧هـ : ٨٢٦هـ

دكتور
سيد عبد الستار ميهوب
كلية الدراسات العربية
جامعة المنيا

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٤/١١٧٦١
I.S.B.N
٩٧٧-٥٥٠٢-١٠-١

الإهداء

إلى أبى ... الراحل الكريم :

كنت أتمنى أن ترى كتابى هذا وأنت حى تملأ دنيايا إطمئناناً وأمناً .

ولكن ... ليس كل مايتمناه المرء يدركه .

و ... قدّر الله وماشاء فَعل .

فإليَك أُهدى كتابى هذا وأنت مع النبيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم إقتده﴾

سورة الأنعام : آية رقم ٩٠

مقدمة

ليس من نافلة القول ، التأكيد على أن التصوف الإسلامى يعد واحداً من اهتمامات المفكر العربى والمسلم ، لما يهتم به هذا التصوف من مخاطبة الوجدان دفعاً له إلى آفاق رحبة من الروحانية والجمال والصفاء ، على أسس قوية من العمل على تزكية النفس البشرية وتخليصها من الرذائل وتحليتها بالفضائل الأخلاقية ، التى هى أساس الإنسان على الحقيقة .

إن التصوف – باعتباره تربية روحية وذوقية – يمكن أن يشحذ همم العالمين للسعى نحو عالم أفضل من النور والاستقرار النفسى والوجدانى ، خاصة والعالم يعيش – الآن – مادية سحيقة ، تكاد تجعل الكون من حول الإنسان مظلماً وكئيباً ، ... فكان لابد أن يكون للتصوف مكانه ، حتى يجد الناس توازناً بين ما يحيونه من مادية طاغية ، وما يرجونه من روحانية وأخلاقية .

ونحن نعلم أن أعلام التصوف الإسلامى كثيرون ، إلا أن شخصية هذه الدراسة – عبد الكريم الجيلى – تمثل نوعاً فريداً بين رجالات التصوف الإسلامى ، فهو واحد ممن ذاقوا التصوف فى مرحلة مبكرة من العمر ، فنال إعجابه كثير من الأولياء الصالحين ، فنذر نفسه – من ثم – لطريق الولاية ، فراح يترقى من حال إلى حال ، حتى بلغ مرتبة اليقين والتمكين ، مشغولاً – فقط – بحب الذات الإلهية ، متخذاً طريقه إليها عبر الاستقامة والتأسى : الاستقامة على طريق الحق ، والتأسى بالرسول ﷺ .

لقد آثرنا أن نكتب عن قضية الولاية عند عبد الكريم الجيلى ، لما يمثله هذا الموضوع من أهمية ، سواء عند عامة المسلمين ، أو عند عبد الكريم الجيلى نفسه ؛ فهو – عند عامة المسلمين – يمثل واحداً من القضايا التى لم تحسم بعد فى العقلية العربية

الإسلامية ، لما يختلط به من أمور عجيبة وغريبة ، وهو – عند عبد الكريم الجيلى – يمثل نقطة محورية فى تصوفه ، بمعنى أن الرجل جعل حياته الصوفية معراجاً للوصول إلى الله ، كى تكون حياته : فى الله ، وبالله ، ومع الله ، ... وهذا – لعمرى – أمر يستحق الجهد والعناء .

... ...

لقد جاءت دراساتنا هذه فى ستة فصول ، مقسمة على الوجه الآتى :–

الفصل الأول:–

فيه ناقشنا المفاهيم العامة التى تتعلق بالولاية ، سواء من ناحية اللغة اشتقاقاً ، أو القرآن الكريم والسنة النبوية انتساباً ، موضحين كيف استند القول بالولاية عند الصوفية – عامة – على مفاهيم إسلامية ، تستند –فى نهاية المطاف– إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

الفصل الثانى:–

فيه عرضنا لإشكالية الولاية عند عبد الكريم الجيلى نفسه ، فبينا كيف ينظر الجيلى إلى الولاية باعتبارها درجة عليا من درجات التمكين فى الطريق إلى الله ، وبينا – كذلك– كيف أن الجيلى قد حد الولاية بحدود الشرع ، وقيدها بقيود الالتزام بأوامر الشريعة ، تمهيداً لأن تكون نفس الصوفى السالك محلاً لتجليات الذات المقدسة .

الفصل الثالث:–

فيه بينا العلاقة بين النبوة والولاية ، وكيف أن الجيلى يجعل النبوة تختلف عن الولاية ، لا فى الدرجة فحسب ، بل فى النوع أيضاً ، فقد أغلق الجيلى باب النبوة بعد محمد – ﷺ ، وجعل الولاية وارثة – ليس إلا – لتعاليم النبوة ، كى تظل تعاليم الدين وأحكام الشريعة قائمة .

الفصل الرابع:-

فيه بينا كيف أن الولى ينظر إلى كافة العقائد الإنسانية ، السماوية وغير السماوية باعتبارها سيراً نحو المثل الكونى الأعلى ، وبينا كيف أن الجيلى لم يكن بدعاً فيما ذهب إليه من بين جموع المتصوفة ، فهو ينظر إلى الله باعتباره – تعالى – روح الوجود والكون بوجه عام ، ومن ثم فالكل قاصد إلى الله إن طوعاً أو كرهاً .

الفصل الخامس:-

فيه بينا الأبعاد الذوقية لمحمل العبادات فى الإسلام ، وبينا كيف أن هذه الأبعاد بعيدة عن كثيرين من مؤديها ، وبينا كيف أن الجيلى يضيف – وبالحاح – الجانب الذوقى إلى الجانب التعبدى ، كى تؤتى العبادات ثمارها المرجوة .

الفصل السادس:-

فيه بينا نظرة الولى إلى نشأة الكون واستمراريته ، وكيف أن هذا الوجود – بما فيه ومن فيه– سائر إلى الله ، الذى صنعه فأتقن صنعه ، وبينا كذلك كيف أن الولى لا يرى فى الكون والأحياء إلا الله باعتباره حقيقة كل الحقائق ، أو هو الحقيقة الوحيدة فى هذا الكون .

وإننى – من قبل ومن بعد – أسأل الله الهداية والتوفيق ؛ فهو ولى فى الدنيا ويوم يقوم الحساب .

المعادى الجديدة : ١٩٩٤م

سيد عبد الستار ميهوب

دكتور
سيد عبد الستار ميهوب
كلية الدراسات العربية
جامعة المنيا

الولاية
عند عبد الكريم الجيلى
٧٦٧هـ : ٨٢٦هـ

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الفصل الأول

مفاهيم حول الولاية

يمكننا التأكيد على أن الفلسفة الإسلامية[1] نشأت وتطورت داخل الفكر الإسلامى ، وفى ظل الحضارة الإسلامية التى أبدعها المسلمون ، ... ذلك كله مع الاعتراف بأن هناك روافد أخرى أمدت تلك الفلسفة بالطريف والجديد من الفكر الإنسانى ، تأسيساً على أن الفلسفة تأثير وتأثر ، أو لنقل : إن الفلسفة بقدر ما تؤثر فى لاحقيها ، لابد وأن تتأثر بسابقيها .

وقد ارتبطت الفلسفة بالاسلام فى صور عديدة :-

إما بالدفاع عن العقائد التى جاء بها الإسلام .

---

(١) نريد هنا أن نقدم تعريفاً إجرائياً بخصوص : هل هذه الفلسفة فلسفة إسلامية ، أم هى فلسفة عربية ، إذ أنه قد أثيرت - منذ فترة - هذه الإشكالية ، وذلك إبان انعقاد ندوة "تقييم كتاب إبن رشد" الصادر بإشراف أستاذنا الدكتور محمد عاطف العراقى عن لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة فى الفترة من ٥:٤/٥/١٩٩٤ ، وقد أثار هذه الإشكالية الأستاذ الدكتور مراد وهبة ، معتمداً - كعادته - على أسلوب من الجدل الفلسفى راق ورفيع ، غير أن آخرين اتخذوها تكئة للهجوم على أشخاص غمزاً ولمزاً ، بل حتى طعناً فى العقيدة ، مما يبتعد بالقضية عن أصلها الأول ، ويخرج بالحوار عن جادة الصواب ، ونحن إذا كنا لن نخوض فى تفاصيل هذه الإشكالية -فليس هنا مجال الإفاضة- إلا أننا نود أن نبين ما نعتقد أنه ليس جديداً : ذلك أن الفلسفة إذا نسبت إلى الإسلام فقد صار واجباً أن تقاس بمقاييس الإسلام ، ولما كان الإسلام لا ينطق بل ينطق به الرجال ، كقولة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فسوف ينتهى الأمر إلى أن تقاس الفلسفة بمقاييس البشر ، الذين هم - فى نهاية الامر - بشر ، لهم ما للآخرين ، وعليهم ما على الآخرين ، ذلك كله تأسيس على تفرقة ضرورية بين ماهو موضوعى وما هو ذاتى ، فالإسلام - كموضوع - له خصوصيته الإلهية ، التى تجعله صادقاً دوماً وعادلاً دوماً ، من خلال المبادئ والتعاليم التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، والمدونة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، لكنه -كذات- له جوانبه البشرية منذ أن نزل إلى البشر ، فصار له أكثر من مفهوم حسب طبيعة الفاهم للإسلام ، سواء كانت هذه الطبيعة : قبلية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية ، وبالتالى يصبح فهم الإسلام من ناحية البشر خاضعاً لأفكار هؤلاء البشر ودوافعهم وأغراضهم وأسبابهم ، مما يعنى أن أحداً ممن يسعى إلى فهم الإسلام قد يصيب ، كما أنه قد يخطئ ، وقد يصح فهمه ، كما أنه قد لا يصح ؛ إنطلاقاً من البشرية المطلقة للفاهم .

إن المقاييس الإسلامية التى يراد قياس الفلسفة بها سوف ترتد - فى نهاية المطاف- لتكون مقاييس بشرية ، حسب فهم هؤلاء البشر للإسلام إذ أن المتحدث الوحيد بإسم الإسلام وبشكل لا يقبل النقض ولا النقد ، هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن عداه تتفاوت مفاهيمهم للإسلام قرباً من أو بعداً عن جوهر الإسلام وروحه . انظر فى ذلك : الكتاب التذكارى عن ابن رشد . إصدار المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ١٩٩٤ ، وكذلك الكتابات المنشورة لتقييم هذا الكتاب الصادرة عن ندوة التقييم ، وأيضاً : جريدة الأهالى . القاهرة . العدد ٦٥٧ السنة السادسة عشرة . الأربعاء ١٩٩٤/٥/١١ ص ١٥ .

وإما بالسعى نحو التفهم الدقيق لأحكام الإسلام الشرعية والعملية الفروعية ، واستنباطها عن أدلتها أو أصولها .

وإما بالعناية بجانب التذوق الروحى لأحكام وأخلاق الإسلام .

وإما بمحاولة التقريب بين الدين الإسلامى ، وبين تلك الفلسفات التى وفدت إلى بلاد المسلمين فشكّلت – إلى جانب الموروث – عقلية النخبة المفكرة من علماء المسلمين.

ولتوضيح ذلك ، نشير إلى أن علماء المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن عقائد الإسلام متخذين فى ذلك ، الأدلة العقلية وسيلة وأداة ... هؤلاء هم المتكلمون ، ويطلق على علمهم : علم الكلام .

ونجد أن علماء المسلمين الذين وجهوا اهتماماتهم نحو الأحكام الشرعية الفروعية من حيث تصنيفها ، وكيفية استنباطها عن أدلتها ... هؤلاء هم الأصوليون ، ويطلق على علمهم : علم أصول الفقه .

ونجد أن علماء المسلمين الذين اهتموا بجانب السلوك الأخلاقى ، على أساس من المزاولة والممارسة الروحية العميقة ... هؤلاء هم المتصوفة ، ويطلق على علمهم : علم التصوف ، أو علم السلوك ، أو علم الحقيقة .

ونجد أن علماء المسلمين الذين سعوا إلى التوفيق بين الإسلام والفلسفات غير الإسلامية أو العربية ، كالفلسفة اليونانية ... هؤلاء هم الفلاسفة الخلص ، أو الحكماء ، ويطلق على علمهم : الفلسفة أو الحكمة[1] .

تأسيساً على ما سبق ، يمكننا القول بأن التصوف يمثل جانباً –وجانباً هاماً– من جوانب الفلسفة الإسلامية ، ذلك إذا وضعنا فى الاعتبار ما يقوم به علم التصوف من تحقيق عملى لمفاهيم العقيدة الإسلامية ، معتمداً على الذوق والوجدان[2] .

---

(١) د. أبو الوفا الغنيمى التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته . القاهرة . دار الرائد للطباعة ١٩٦٦م ص أ .

(٢) د. احمد الجزار : الولاية بين الجيلانى وابن تيمية . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٠م ص٣

ونحن نتفهم موقف البعض من معارضى التصوف ، الذين بسببهم لم يحظ التصوف بمشروعية – يستحقها – فى إطار الفكر الإسلامى ، وقد صار هذا الموقف من الحدة والشدة بمكان ، حتى صار من غير الممكن تجاهله ، خاصة فى ضوء حجم المنتمين للطرق الصوفية ، الذين راح أكثرهم يمارسون سلوكاً خاطئاً ... بل ومعيباً ، أعلن كبار شيوخ الصوفية تبرأهم منه ، ولذلك فإننا ندعو – إلى جانب تفهمنا السابق – إلى ضرورة التمييز بين تصوف صحيح ، وآخر باطل[1] .

وإذا كنا نجد من بين المحدثين والمعاصرين من انتقد هذه السلوكيات ، فإن لنا فى أقوال الصوفية القدماء أنفسهم دليلاً على رفضهم لكل ما يعيب الصوفى السالك ، مما يمكن اعتباره "نقداً ذاتياً" يسعى القائمون به إلى تنقية التصوف من الشوائب ، وإبعاد كل من يسيئون بسلوكهم وتصرفهم – بل وجهلهم– للتصوف ، ولو لم يكن هذا "النقد الذاتى" موجوداً من داخل الجماعة الصوفية نفسها ، وبأيدى رجالاتها أنفسهم ، لشوّه الدخلاء على التصوف سمعته وصورته ، ولصاروا – بذلك– يضربون أسوأ الأمثلة لخاصة الناس وعامتهم ، فينصرف الناس عن التصوف ، ولا يمكن لهم الانتفاع بحكمته ، وحكمة الصوفية الخلص[2] .

فمما لا شك فيه ، أن التصوف الإسلامى له آفاقه الذوقية الرحبة ، وله عالمه المملوء بالدلالات الروحية ، المفعم بالرؤى النورانية الشفافة ، وله طريقه الطويل ...

---

(١) أبو المظفر الطرازى : الأخلاق فى الإسلام . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٦م ص١٣٥ نقلاً عن د. أحمد الجزار : الولاية بين الجيلانى وابن تيمية . ص٤ .

(٢) من خير من قام بمثل هذا "النقد الذاتى" الحكيم الترمذى (٢٠٥هـ : ٣٢٠هـ) حيث نجده لم يقم بالرد على الدخلاء على التصوف فقط ، بل قام بالرد على كل من له تأثير على عقل الإنسان ووجدانه ، فنقد المحدثين والفقهاء والمتكلمين . انظر فى تفصيل ذلك النقد : د.عبد الفتاح بركة : الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٧١م جـ١ ص٧٧ :١٤٧ ، د. عبد المحسن الحسينى : المعرفة عند الحكيم الترمذى . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . القاهرة . بدون تاريخ . ص٧٧ : ١٠١ ، وكذلك ما قام به ابن سبعين بمثل هذا "النقد" فى انتقاداته لأصحاب الاتجاهات الأخرى : الفقيه والأشعرى والفيلسوف والصوفى ، حتى ينتهى إلى عدم الرضا عن أى مذهب إلا مذهب "التحقيق" مع طلبه من "المحقق" أن يستعين بالفقيه فى العمل ، وبالأشعرى فى حبه للشريعة ، وبالفيلسوف فى الصنائع العملية ، وبالصوفى فى الحال الصادق . انظر فى تفصيل ذلك كتاب أستاذنا الدكتور أبو الوفا التفتازانى : ابن سبعين وفلسفته الصوفية . دار الكتاب البنانى . بيروت ١٩٨٣م ط١ ص ٢٥٠ : ٢٩٣ .

الطويل الذى يشق على غير الصادقين المثابرين ، فلا يقطعه – من ثم – إلا الصادقون من المؤمنين الخلص ، الذين تخلصوا من أسر المشاغل الحسية ، فانطلقوا إلى رحاب ملكوت الذوق والعرفان .

وإذا انتهينا من بيان بعض النقاط المتعلقة بالتصوف – بوجه عام – ، فإن لنا حقاً أن نتناول السبب فى إفراد كتاب يتناول مسألة من أهم مسائل التصوف الإسلامى ، ألا وهى مسألة "الولاية" ، فمعروف لنا أن التصوف –عامة– هو "فلسفة حياة ، وطريقة معينة فى السلوك يتخذها الإنسان لتحقيق كما له الأخلاقى وعرفانه بالحقيقة وسعادته الروحية"[١] ، وهو –إسلامياً– تقويم الأخلاق والسلوك ، حتى قرأنا "من زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصّفاء"[٢] .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن صوفية الإسلام أدركوا أهمية البعد الأخلاقى للدين ، تأسيساً على أن الأخلاق هى أساس التشريع ، فليس التدين[٣] مجرد شكليات تتمثل فى التمسك بظاهر الدين دون حقيقته وجوهره ، وإنما التدين – كما يقول أستاذنا الدكتور أبو الوفا التفتازانى – هو الفهم الواعى للدين ، والعمل به ، بما يربط حياة المتعبد بحياة المجتمع ، فلا ينعزل الدين ، ولا يتقوقع أصحابه بعيداً عن حقائق الحياة[٤] .

ومما هو معروف ، أن هناك ارتباطاً وثيقا بين السلوك السوى – وهو خشية الله تعالى – وبين معرفة الله ، حيث تعتمد المعرفة فى التصوف على الذوق ، تاركة الحس والعقل جانباً[٥] ونجد أن الولاية تعتبر اساس طريقة التصوف فى

---

(١) د. ابو الوفا التفتازانى : مدخل إلى التصوف الإسلامى . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٩م ص٣ .

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرزاق : تعليق على مادة "تصوف" بدائرة المعارف الإسلامية .

(٣) من الضرورى الإشارة إلى أن هناك فارقاً جوهرياً وهاماً بين الدين والتدين ، أو بين دين الله الحق ونوعيات تدين البشر فى أزمنتهم المختلفة ، فالله تعالى ينزل الدين خالصاً ونقياً ليرقى به الناس ، لكن البشر هم الذين يضعون بصماتهم على الدين حين يتدينون ، فتظهر تلك الفجوة بين الدين الحق وبين تدين البشر ويضع البشر صورة قانونية تشريعية للتدين الذى يمارسونه ، ودليل ذلك تأثر مذاهب الفقه بكل ما يتعلق بصاحب المذهب الفقهى من ظروف إجتماعية وسياسية ونفسية ، مما يعود – بشكل أو بآخر – على المذهب واتباعه .

(٤) د. أبو الوفا التفتازانى : مدخل إلى التصوف الإسلامى . ص١٢ .

(٥) لعل الصوفية فى هذا المقام – مقام التلقى والمعرفة والفهم عن المشرع – يتخذون طريقاً جديداً ، يعتمدون فيه على الإتصال المباشر بالمشرع الأول ليأخذوا عنه بطريق المباشرة ، ومن غير وسيط ، ومن ثم نجدهم يعلنون أن "أهل الله" من الصوفية هم وحدهم القادرون على الإطلاع على أحكام الشريعة ، سواء مقاصدها الكلية أو=

المعرفة[1] ، وكأن دين الله تعالى "قد بنى على ثلاثة اركان : على الحق والعدل والصدق ، فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول ، فإذا افتقد الحق من عمل ، خلفه الباطل ، وإذا افتقد منه العدل ، خلفه الجور ، وإذا افتقد منه الصدق ، خلفه الكذب ، فهذه الثلاثة ضد المعرفة ، وهذه الثلاثة التى هى أضدادهن جند الهوى"[2] .

الولاية : الدلالة اللغوية والدلالة الإصطلاحية :

من الناحية اللغوية ، فإن الولاية – بفتح أو كسر الواو – لفظة مبنية على القرب والدنو ، ومايتصل بهما من معان تشتق من هذه اللفظة : وليه وليا أى دنا منه دنوا ، والمولاة بين الشيئين بمعنى المقاربة بينهما[3] ، وولاه وليا أى دنا منه وقرب ، ووليه وليا : ولاه للشئ وعليه ، وولاية : ملك أمره وقام به ، وولى فلاناً : نصره وأحبه ، وولى البلد : تسلط عليه ، وأولى على اليتيم : أوصى به ، وأولى فلاناً الأمر : جعله والياً عليه ،

=طرائقها العملية ، وذلك من حيث "لاتعلم العلماء بها ، فإن الفقهاء والمحدثين الذين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، إنما المتأخر منهم فيه على غلبة الظن إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيزاً ، ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر ، لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصاً فيما حكموا فيه ، فإن النصوص عزيزة ، فيأخذون من ذلك اللفظ بقدرة قوة فهمهم فيه ، ولهذا اختلفوا ، وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ فى ذلك الأمر نص آخر يعارضه ولم يصل إليهم ، ومالم يصل إليهم ماتعبدوا به ، ولايعرفون بأى وجه من وجوه الاحتمالات التى فى قوة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع فأخذه أهل الله عن الرسول فى الكشف عن الأمر الجلى والنص الصريح فى الحكم ، أو عن الله بالبينة التى هم عليها من ربهم ، والبصيرة التى بها دعوا الخلق إلى الله" انظر فى تفصيل ذلك . ابن عربى : الفتوحات المكية . دار صادر . بيروت . بدون تاريخ جـ٢ ص ٦٩٢ ، وقدعرض أستاذنا الدكتور عاطف العراقى لهذه الإشكالية المعرفية فى الكثير من مؤلفاته مميزاً لنا بين طرق المعرفة مؤكداً أن المعرفة الصوفية وجدانية قلبية لاعقلية برهانية ، ولمزيد من التفاصيل حول رأى استاذنا ، انظر . د . عاطف العراقى : ثورة العقل فى الفلسفة العربية . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٨ طـ٤ ص ١١٩ :١٦١ .

(١) د . ابو الوفا التفتازانى : ابن سبعين وفلسفته الصوفية . ص٢٥٣ .

(٢) الحكيم الترمذى : الأكياس والمغترين . ص٢ نقلاص عن د . عبد المحسن الحسينى المعرفة عند الحكيم الترمذى .ص٥٣ ، الهجويرى : كشف المحجوب . تحقيق د . إسعاد قنديل . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٧٥ جـ٢ ص٤٤٢ .

(٣) الزمخشرى : أساس البلاغة . تحقيق عبد الرحيم معروف . دار الكتب . القاهرة ١٩٥٣مادة "ولى".

وأولى فلاناً معروفاً : صنعه إليه ، ويقال فى التهديد والوعيد : أولى لـك : قـد وليـك أى قاربك الشر فإحذر ، ووالى بين الأمرين موالاة : تابع[1] .

الولاية فى القرآن الكريم :

بعد أن عرضنا لمفهوم الولاية من الناحية اللغوية ، فإنـه يجـدر بنـا التعـرض لهـا فـى مصدرى الأخلاق[2] فى الإسلام : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهـرة ، تأسيسـاً علـى أن التصوف الإسلامى إنما يستمد جوهره من المصدرين الأساسيين والأهمين فى الإسلام: القرآن والسنة .

فأما عن القرآن الكريـم ، وماشـتمل عليـه مـن آيـات كريمـة تحتـوى علـى كلمـة "ولاية" ، فإننا نجد أن هذه اللفظة قد وردت فى القرآن الكريـم مرتـين إثنتـين[3] لاغـير ، فأما المرة الأولى ففى قوله تعالى : ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا مـالكم مـن ولايتهـم مـن شئ حتى يهاجروا**﴾[4] ، وأما المرة الثانية ففى قوله تعالى ﴿**هنا لـك الولايـة لله الحـق** ،

---

(١) المعجم الوسيط : طبعة مجمع اللغة العربيـة . ج٢ ص١١٠٠ ، وقـد ينصـرف معنـى الـولى إلى الـولى (بسـكون اللام) وهو القرب والدنو ، فهو القريب من الله لتقربه إليه بإمتثاله أوامره واجتنابه نواهيه ، أو من المولاة ضـد المعاداة ، فهو من تولى الله بالطاعـة والتقوى فتولاه الله بـالحفظ والنصـرة . انظـر . محمـد بـن عـلان : دليـل الفالحين . الحلبى . القاهرة ١٩٧٧ جـ٢ ص٢٦٦ .

(٢) سبق أن أوضحنا أن التصوف هـو الإهتمـام بالجـانب السـلوكى الأخلاقـى المؤسـس علـى المفـاهيم الإسـلامية ، تأسيـساً على قول النبى صلى الله عليه وسلم "تخلقوا بأخلاق ربى" مما دفع الصوفية إلى أن يجعلوا الفهم الدينـى يسير فى طريق التمثل بالله تعالى ، مع عدم إغفال القدرة الذاتية للصوفى المسلم ، ومن هنا فنحن نعتقد – بنـاء على هذه المفاهيم – بوجوب أن يكون الإنسان المسلم نسيج وحده ، بمعنى أن يكون تعبيراً عن هويتـه الخاصـة انطلاقاً من إيمانه بأن الله لامثيل له ، ويكون – فى الوقت نفسـه – متحركاً صادقاً عاملاً مبدعاً فى شتى مناحى الحياة ، لعلمه بأن الله ماذكر الإيمان إلا مقروناً بالعمل الصالح ، كما أن النبى صلى الله عليه وسلم مـاقبل يـداً إلا يد عامل وقال: هذه يد يحبها الله ورسوله ، كما أننـا نعتقـد بضـرورة أن يـترجم المسـلم "أوراده" إلى عمـل دون الإكتفاء بمجرد ترديدها والتعبد بها دون أن يتجاوز ذلك الشفاه إلى القلب ويتحد بذات الإنسـان سـلوكاً وفعلاً .

(٣) د . أحمد الجزار : الولاية بين الجيلانى وإبن تيمية . ص١٠ .

(٤) سورة الأنفال : آية رقم ٧٢ .

هو خير ثواباً وخير عقبا﴾[1] .

وأما مشتقات لفظة "الولاية" فهى : ولى والجمع أولياء ، وقد وردت لفظة "ولى" فى القرآن الكريم فى أربع وأربعين موضعاً ، على حين وردت اللفظة "أولياء" فى القرآن الكريم فى إثنين وأربعين موضعاً[2] .

وإذا شئنا أن ننظر إلى آيات القرآن الكريم التى تشتمل على لفظة "الولاية" أو مشتقاتها ، لوجدنا منها مايستعمل صفة لله تعالى على وجه مطلق ، ومنها مايستعمل بالإضافة إلى بعض عباد الله المخلصين ، ومنها مايستعمل لوصف عباد الله بالإضافة إلى الله تعالى .

فأما الأولى : فهى قوله تعالى : ﴿**أم إتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولى ، وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير**﴾[3] ، ومنها قوله تعالى ﴿**وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد**﴾[4] ، ومنها قوله تعالى:﴿**وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيراً**﴾[5] ، ومنها قوله تعالى : ﴿**قل : أفغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض**﴾[6] .

وأما الثانية :فهى قوله تعالى ﴿**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[7] ومنها قوله تعالى ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين**﴾[8] ومنها قوله تعالى : ﴿**بل الله مولاكم وهو خير**

---

(١) سورة الكهف : آية رقم ٤٤ – محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . دار الشعب. القاهرة ١٩٤٥ م مادة "ولاية" ص ٧٦٧ .

(٢) يعرض المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم هذه المادة بدايةً من لفظة "ولىّ" (بتشديد اللام) ص٧٦٤ وحتى لفظة "مواليكم" ص٧٦٨ .

(٣) سورة الشورى : آية رقم ٩ .

(٤) سورة الشورى : آية رقم ٢٨ .

(٥) سورة النساء : آية رقم ٤٥ .

(٦) سورة الأنعام : آية رقم ١٤ .

(٧) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٧ .

(٨) سورة آل عمران : آية رقم ٦٨ .

الناصرين﴾[1] ، ومنها قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[2] ، ومنها قوله تعالى : ﴿أنت ولينا فإغفر لنا وإرحمنا وأنت خير الغافرين﴾[3] ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾[4] ومنها قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[5] ، ومنها قوله تعالى ﴿فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة﴾[6] .

وأما الثالثة : فهى قوله تعالى ﴿ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا أولياءه ، إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون﴾[7] ، ومنها قوله تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[8] ، ومنها قوله تعالى ﴿قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[9] .

ونعتقد من جانبنا أنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه من بين مفاهيم الولاية مايتضمن النصرة والعزة ، وهذه كلها تنصرف من الله إلى العبد ، فالله هو الولى ، وهو النصير لمن تولاه وتولى من والاه بالطاعات ، وإلا كان بعيداً عن ولاية الله ، والبعيد عن ولاية الله قريب من ولاية الشيطان ، إذ أنه لا ولاية غيرهما : فإما ولاية الرحمن ، وإما ولاية الشيطان[10] .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٠ .
(٢) سورة المائدة : آية رقم ٥٥ ، ٥٦ .
(٣) سورة الأعراف : آية رقم ١٥٥ .
(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٩٦ .
(٥) سورة الحج : آية رقم ٧٨ .
(٦) سورة يوسف : آية رقم ١٠١ .
(٧) سورة الأنفال : آية رقم ٣٤ .
(٨) سورة يونس : آية رقم ٦٢ ، ٦٣ .
(٩) سورة الجمعة : آية رقم ٦ .
(١٠) د . أحمد الجزار : الولاية بين الجيلانى وابن تيمية . ص١١ .